

من أسرار الخط المغربي

From the secrets of the Moroccan calligraphy

د. محمد الحاكم بن عون. أستاذ محاضر - أ. جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي -

benaoun-mohammedelhakem@univ-eloued.dz

تاريخ النشر: 2022/10/08

تاريخ القبول: 2022/06/30

تاريخ الاستلام: 2021/09/15

ملخص:

تميز المغرب الإسلامي، بنتاج حضاري وعمراني شاهدين على تميز الفرد المغربي؛ الذي لم يكن مقلدا لغيره، ومن بين مظاهر التميز في ذلك النتاج الحضاري الخط المغربي الذي كتبت به المخطوطات العربية في شتى المجالات الدينية والعلمية العقلية منها والنقلية، ولهذا الخط عديد الأسرار مكونة فيه، فأردنا من خلال هذا المقال تسليط الضوء على بعض أسرار الدالة على استمراريته وتميزه منذ العصور الوسطى إلى يومنا هذا.

كلمات مفتاحية: أسرار؛ الخط؛ المغربي؛ التصحيف؛ التحريف.

Abstract:

The distinction of the Islamic Maghreb, with a civilized and urban product, witnesses to the distinctiveness of the Moroccan individual; Which was not imitated by anyone else, and among the manifestations of excellence in that civilized product is the Moroccan calligraphy in which Arabic manuscripts were written in various religious, scientific, mental and transmission fields. It is distinguished from the Middle Ages to the present day.

key words: Secrets; Line; Moroccan; Altashif ;Distortion.

*المؤلف المرسل

256

وحروف الأبجدية في العربية هي ثمان وعشرين (28) حرفاً، وضعت رسومها على تسعة عشرة (19) شكلاً؛ مما اضطرهم إلى الإعجام للتفريق بينها³؛ حتى لا تكثر رسوم الحروف، وهو ما أورده اللغوي غبد الرحمان الزجاجي (ت340هـ) في قوله: "إن السبب الأساس في اللجوء إلى الإعجام، أن بعض الحروف قد جعلت على صورة واحدة في الخط نحو (الياء) و(الباء)، و(الجيم) و(الحاء) و(الخاء)، و(الذال) و(الذال)،...، لأنهم فترقوا بينها بالنقط، فكان ذلك أخف عليهم من أن يجعلوا لكل واحد من هذه الحروف صورة على حدة فتكثر الصور"⁴.

وبعد اتساع الفتح الاسلامي ودخول عديد الأمصار -من غير العرب- فيه، وحتى لا يصحّف كلام الله عز وجل أخذ بعض النساخ إعجام الحروف المتشابهة، هذا الأمر كان يعاب على النساخ فيه؛ لأن العرب الأقحاح، ومن جاء بعدهم لم يكونوا بحاجة إلى الإعجام؛ ولأن نسخ المصحف العثماني لم يرد فيه إعجاماً، فكانوا يقولون "إن كثرة النقط في الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه"⁵، وأورد شاعرا يرد على كاتب راسله في قوله:

يا كاتباً كتب الغداة يسبني *** من ذا يطبق براعة الكتاب

لم ترض بالإعجام حين سببتني *** حتى شكلت عليه بالإعراب

ومن الخطوط التي تميزت بإعجام مختلف عن ما هو عليه في المشرق، نجد الخط المغربي الذي حافظ على جماليته وتقاليده ورسمه.

3. الخط المغربي:

² ابن منظور، لسان العرب، 15، ص139.

³ عبد العزيز حميد صالح، المرجع السابق، ص 281.

⁴ عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي، 1957م، ص272.

⁵ عبد العزيز حميد صالح، المرجع السابق، ص 285.

امتد الخط العربي إلى شمال إفريقيا إثر الفتح الإسلامي؛ حيث كانت تكتب به رسائل الخلفاء إلى الولاة وردود الولاة على الخلفاء، كما كتبت به المصاحف والكتب الدينية⁶. فكانت ترسم المصاحف بالخط الكوفي، أما خط التدوين اللين فكتبت به الرسائل⁷، فلم يبق الخط الكوفي الذي عرف كذلك بالقيرواني على حاله بل تطور تطورا خاصا في بلاد المغرب والأندلس، وصارت له خصائصه المغايرة لكافة أنواع الخطوط العربية⁸، الذي أصبح يلقب بالخط المغربي. فهو خط ليس بالتدويني الذي شهدته مصر في خلافة عمر (رضي الله عنه)، فهو مشتق من الكوفي، وإن كان أكثر منه مطاوعة في يد الكاتب وأميل إلى الاستدارة⁹. وتميز الخط المغربي من حيث الاعجام* الذي خالف فيه الاعجام المشرقي في تنقيط الحروف المتشابهة في الرسم كالفاء والقاف مثلا. والإعجام هو الطريقة المثلى لتحاشي التصحيف؛ أي القراءة غير الصحيحة.

4. أنواع الخط المغربي:

وقد استقر الخط المغربي في خمسة أنواع¹⁰ وهي:

1.4 الخط المبسوط:

وسمي بذلك لبساطته وسهولة قراءته، يوجد في المصاحف القديمة، وبه طبعت المصاحف المغربية الشريفة في المطابع الحجرية.

2.4 الخط المجوهر:

⁶ إبراهيم جمعة، 1981، ص30.

⁷ نفسه، ص30

⁸ نفسه، ص ص30-31.

⁹ نفسه، ص32.

* لا يعني الاعجام نقط الحروف فحسب بل تعني نقط الحروف وشكلها في آن واحد.

¹⁰ محمد المنوني، 1991، ص322.

وهو أكثر الخطوط المغربية استعمالاً، تكتب به المراسيم السلطانية، والرسائل الخاصة والعامّة، وبه طبعت الكتب العلمية بالمطبعة المحمدية أيام السلطان العلوي محمد الرابع.

3.4 الخط المسند(الزمامي):

للوثائق العدلية والمقيدات الشخصية وما شابه ذلك.

4.4 الخط المشرقي:

مقتبس من الخط المشرقي، لكن مغرته يد المبدعين المتقدمين، ويكتب بحروف غليظة متداخلة بعضها في بعض، ويمتاز بليونته وانسياب حروفه، وإمكاناته غير المحدودة في التشكيل، وفي تطويع صور الحروف تبعاً لمعايير جمالية، وكثيراً ما يكتب بماء الذهب، ويزخرف ويشجر بأشكال مختلفة، فهو يستعمل في زخرفة عناوين الكتب، ويستخدم للترزين في الفنون المعمارية مثل زخرفة المساجد والأضرحة والمساجد والمدارس العتيقة.

5.4 الخط الكوفي المغربي:

وهو الأصل الذي تطورت عنه أنواع الخط المغربي الأخرى. وهو خط هندسي بديع، توجد نماذج منه مكتوبة على القطع النقدية القديمة، وعلى رق الغزال في المصاحف القديمة، وعلى منقوشات من الحجر على أبواب المدن والقصبات، وعلى الجبص في المساجد والمدارس العتيقة وقبور الملوك وأضرحة الأولياء.

5. الفرق بين الخط المغربي والخط المشرقي:

ليس من شك أن بين الخط المغربي والخط المشرقي فوارق ظاهرة وبيّنة إذا لاحظنا أشكال الكتابة في الخطين نرى أن هناك فوارق في النقاط وغيرها، وربما يطول الحديث عن هذه الفوارق وسنحاول اختصارها في ما يلي:

- تم تنقيط الفاء بنقطة أسفل الحرف، بدل أعلاه.
- تنقيط القاف بنقطة أعلى الحرف بدل نقطتين¹¹.
- أهمل تنقيط الحروف المجموعة في كلمة (ينفق) إذا وردت في آخر الكلمة؛ وذلك لعدم إمكانية التباسها بحروف أخرى.

تبنى الأندلسيون والمغاربة تنقيط أبي الأسود الدؤلي في مصاحفهم الأولى، ثم انتقلوا إلى تنقيط الخليل بن أحمد الفراهيدي فيما يخص نقط الحروف وتشكيلاتها، باستثناء ما سبقت الإشارة إليه، وخالفوه في رسم همزات الوصل والقطع، فكتبت بنقط كبيرة ملونة بلونين مختلفين. ورغم أن الغالب على المصاحف المشرقية استخدام لون واحد للحروف ونقطتها وتشكيلاتها، فقد حافظت المصاحف المغربية لمدة طويلة على استخدام الألوان المختلفة للتشكيلات ولهمزتي الوصل والقطع، باعتبارها مضافة إلى الحروف.

اختلاف بين الشقين: والفاء منقوطة من الأسفل والقاف نقطة واحدة من فوق، والكاف "مشالة" أو ملتوية كذنب عقرب في حالة تأهب وهناك كاف مدغمة وميم تتعرف عليها بممارسة القراءة والتفريس، وحروف أخرى متعرجة أو مدغمة ونون مستطيلة إلى أشكال خطية يتعرف عليها قراء المخطوطات. المصاحف في الخط المغربي.

6. منع التصحيف في الخط المغربي

قبل أن نتحدث عن أسرار الخط المغربي، نعرّج على تعريف مفهومي التصحيف والتحريف والفرق بينهما.

1.6 التصحيف:

1.1.6 لغة:

¹¹ خلافاً للتنقيط الذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) وعمم على جميع الخطوط المشرقية .

من فعل صَحَّفَ يصحِّف، تصحيفًا، فهو مُصحِّف، والمفعول مُصحَّف، وصَحَّفَ الكلمة: كتبها أو قرأها على غير صحتها؛ لاشتباه في الحروف¹²، وجاء في القاموس المحيط الخطأ في الصحيفة.¹³

2.1.6 اصطلاحا:

"هو تحويل الكلمة عن الهيئة المتعارفة إلى غيرها"¹⁴، أو هو تغيير في نقط الحروف أو حركاتها، مع بقاء صورة الخط¹⁵؛ فهو تغيير في حروف الكلمة مما تختلف فيه صورة الخط: مثال عباس تتغير إلى عيَّاش، وقد يحدث التصحيف عند التغيير في نقط أو شكل الكلمة مع بقاء صورة الخط، مثل العدل والعدل وبين الثوري والتوزي(التنقيط)، أما في الشكل مثل: نَمَتْ ونَمْتُ.

والتصحيف يقع كذلك في تغيير المعنى؛ ومن أمثلة ذلك ما ذكره الخطابي عن بعض شيوخه في الحديث أنه لما روى حديث النهي عن التحليق يوم الجمعة قبل الصلاة قال: ما حلقت رأسي قبل الصلاة منذ أربعين سنة، فهم منه تحليق الرؤوس، وإنما المراد تحليق الناس حلقا¹⁶. والناظر في كتب المحدثين يلحظ استعمال لفظة التصحيف أكثر من استعمال لفظة التحريف؛ أي أنه ليس ثمة فرق بين الاستعمالين، بل هما لفظان مترادفان في استعمال المحدثين ولم يثبت التفريق بينهما في أي من الصور.

¹² معجم المعاني. متاح على الرابط <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar> /تصحيف/ تاريخ الزيارة

2020/04/22 الساعة 17:30.

¹³ القاموس المحيط، مج3، ص217.

¹⁴ السخاوي، (1426هـ)، ج3، ص72

¹⁵ محمود محمد الطناحي، 1984، ص286.

¹⁶ عبد الرحيم الحسين العراقي، ج2، 2002، ص ص 300-301.

1.2.6 لغة:

2.2.6 اصطلاحات

حتى كان عصر الحافظ ابن حجر في المتأخرين، فحاول ضبط التفريق بين الاصطلاحين، قصداً منه لتسهيل العلم وتحديدده، فاختار أن يفرق بينهما بقوله:

²⁰ الاسلام سؤال وجواب (النصحيف والتحريف والفرق بينهما)، المرجع السابق، ص 1.

7. خاتمة:

- بقي الخط المغربي محافظاً على تقاليد الساكنة في بلدان الشمال الأفريقي.
- صعوبة تزوير وتحريف الخط المغربي، للخصائص التي يتمتع بها في الرسم، والامالات وتناغم حروفه.
- استمرارية قراءته، رغم الإضافات التي قد تقع عليه سهواً أو تعمداً بشرية أو غيرها، لخاصية إعجابه التي يتميز بها عكس الخطوط المشرقية.
- يساهم الخط المغربي في التحقق من مؤلفه؛ مما يساعد على تحقيق متن المخطوطات.
- نعرف من خلال الخط المغربي، رحلة المخطوط شرقاً وغرباً؛ من خلال التعليقات والحواشي التي قد تقع فيه.
- دعوة المغاربة "أهل شمال إفريقيا" إلى النهوض بتراثهم؛ لأنهم الأدرى برسوم الخط المغربي وقواعده.

5. قائمة المراجع:

- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي،، لسان العرب، 15، دار المعارف للنشر، بيروت، لبنان.
- الزّجّجي عبد الرحمان بن إسحاق،(1957)، كتاب الجمل،(د.نا)، باريس.
- السخاوي محمد بن عبد الرحمان،(1426)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ج3، تحقيق:عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمان الخضير ؛ محمد بن عبد الله بن فهد آل فهد، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض.
- الطناحي محمود محمد ، (1984)، ط1،مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- العراقي عبد الرحيم الحسين ، (2002)، ط1، شرح التبصرة والتذكرة، ج2، تحق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان-.
- الفيروزبادي مجد الدين،(2008)، القاموس المحيط، مج3، تحقيق أنس محمد الشامي؛ زكرياء جابر أحمد، دار الحديث بالقاهرة-مصر-.

- المنوني، محمد، (1991)، تاريخ الوراقة المغربية: صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة. الرباط: كلية الآداب و العلوم الإنسانية.
- بن عبد الله بن عبد القادر موفق ، (1993)، ط1، توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، المكتبة الملكية- السعودية-، دار البشائر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.
- جمعة إبراهيم، قصة الكتابة العربية، (1981)، ط3، المطبعة العالمية، القاهرة.
- عبد العزيز حميد صالح،(د.تا)، تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- محمد السراقبي وليد، "مفهوم التحريف (دراسة في تأصيل المصطلح)"، (2001)، مجلة عالم الكتب مج22، ع1-2،
- معجم المعاني <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar> - Copyrights 2010- 2021 Almaany.com, All rights reserved.
- الاسلام سؤال وجواب(النصحيف والتحريف والفرق بينهما)
- <https://islamqa.info/index.php/ar/answers/100266> تاريخ النشر 2007/05/05